

المظاهرة والمؤتمر

بقيام أحمد عبدالمعطي مجازي

مهرجان أبي تمام

من المثقفين العرب بأبي تمام تعريفا صحيحا وقدمه اليهم على الطريقة الجديدة التي تمكنهم من تقديره حق قدره . وكان الدكتور البهيتي قد ترك جامعة القاهرة منذ اكثر من خمسة عشر عاما واصبح استاذاً في جامعة بغداد ، ثم اختير بعدها استاذاً في جامعة الرباط فلم يتح لطلابه في الجامعة او لقرائه ان يتابعوه بعد ان سافر . ولقد وجدتني بعد ان تعرفت عليه واستمعت اليه اراجع بعض فكرتي عن تاريخ ظهور الفكرة القومية في مصر، فقد رأيت الرجل من أوائل الداعين اليها والدافعين عنها فسي دراساته وفي مواقفه .

وإذا كان الدكتور البهيتي ولعله الان في نهاية الحلقة السادسة من عمره ومعه الدكتور عبده عزام استاذ الادب العباسي في جامعة القاهرة ، ثم في جامعة لندن، واخيرا في الجامعة الاردنية ومعهما عدد من زملائهما العراقيين يمثلون الجيل السابق الذي بدا القاء الاضواء على شعر أبي تمام ، فان المهرجان قد ازدحم بممثلي الاجيال الجديدة . من الادباء والشعراء الدارسين الذين قدموا باجتماعهم صورة رائعة لحركة الثقافة العربية الحديثة ونضالها العظيم من اجل كسب الماضي والمستقبل معا .

ولقد كانت هذه الغاية - غاية استحضار الثقافة العربية وتمثل حركة العرب في التاريخ - وراء اجتماع هذه الاجيال من المحدثين والمعاصرين كما كانت ايضا وراء البرنامج الذي وضع لزيارتنا في الموصل . لقد كان ابوتمام هو بداية الرحلة . لكن الرحلة استمرت بعد ذلك صعودا وهبوطا لاكتشاف الدائرة الحضارية التي كان ابوتمام نقطة فيها وذلك في زيارتنا للمتاحف والمناطق الاثرية التي تحيط بالموصل وتكشف عن حضارة أكثر من الفسي عام قبل ابي تمام وأكثر من ألف بعده . لقد زرنا آثار الاشوريين في نينوى وخورساباو ونمرود كما زرنا الحضرة ثم استطعنا في عودتنا الى بغداد ان نمضي جنوبا فنزور

هناك زاويتان في النظر الى المؤتمرات والمهرجانات الادبية التي تعقد بكثرة في هذه الايام للحكم عليها بالنجاح او بالفشل .

الزاوية الاولى هي النظر الى هذه المؤتمرات والمهرجانات باعتبارها اسواقا ادبية وثقافية يتعارف فيها الادباء والشعراء والعلماء العرب على اختلاف اقطارهم ، كما يتعرفون على نواحي الحياة في البلد الذي يذهبون اليه ويطلعون على مجالات نشاطه وتقدمه عامة وعلى نشاطه الثقافي بوجه خاص ويقدمون خبرتهم للقائمين عليه لاكتشاف آفاته المختلفة وتدعيم ايجابياته ومعالجة سلبياته . ثم ان اجتماع المثقفين العرب على تدارس تاريخهم وتراثهم والاحتفاء بأعلامهم ومناقشة مشاكلهم هو في الحقيقة تعبير عن عمق الوحدة القومية وتأصلها في الوجدان العربي كما تدل على ذلك وحدة الثقافة العربية واتصالها عبر العصور ، وبالتالي فان اجتماع هؤلاء المثقفين في هذه المناسبات الجامعة هو تجاوز لواقع التجزئة الراهن ، واحتجاج عليه واثبات لزيفه .

ومن هذه الزاوية نستطيع ان نقول ان مهرجان أبي تمام الذي عقد في الشهر الماضي بالموصل قد نجح نجاحا كبيرا .

لقد اجتمع في هذه المناسبة بالموصل وبغداد عدد كبير من الادباء والنقاد والشعراء والباحثين العرب من اقطار عديدة ، فكان منهم المغاربة والمصريون والفلسطينيون والسوريون واللبنانيون واليمنيون الى جانب العراقيين . تبادلوا مؤلفاتهم وتناقشوا حول مسائل الادب القديم والادب المعاصر واستمع منهم الناشئ للمجرب ، كما تعرف المجرب على الناشئ ، فخرج كل من عزلته ووضع نفسه وتجربته في سياقها العام من حركة الفكر والثقافة العربية ولقد تعرفت انا مثلا على رجل كنت اتمنى دائما ان اتعرف عليه فلم استطع الا في مهرجان ابي تمام ذلك هو الدكتور نجيب البهيتي الذي كان اول من عرف هذا الجيل الجديد

الاعتماد على الاقطار الاخرى وان عليها وحدها ان تحقق كل شيء بما في ذلك شعار الوحدة الذي يكاد في اطار هذه السياسة الخبيثة ان يخدم الانفصاليين .

ولا شك ان مثل هذه التيارات والدعاوى تجد في جو العزلة الذي تفرضه بعض الاقطار على نفسها وعلى غيرها ايضا جوا مناسباً لبث سمومها وتقوية مراكزها . ومن هنا تأتي اهمية هذه اللقاءات الثقافية وضرورتها . ان المثقفين العرب باجتماعهم يقفزون على واقع التجزئة فكراً وعملاً ويثبتون لامتهم وللشعب العربي كله هزال الدعوة الى الانكفاء والاكفاء والذلة وتكريس الاقليمية ويفقدون امل الوحدة وفكرة العودة الى احضان الامة .

ولقد حقق مهرجان ابي تمام شيئاً كثيراً كسوق ادبي ومظاهرة قومية . فهو من هذه الزاوية قد نجح . بل لقد بالغ نوعاً ما في محاولة ضمان هذا النجاح بعدم التدقيق في دعوة بعض الاشخاص الذين حضروه . اما الزاوية الاخرى التي يقاس بها نجاح تلك المؤتمرات أو فشلها فهي النظر الى المطالب العلمية التي تحققها أو تقصر عن تحقيقها . وما هي المطالب العلمية التي نتصور أن على المهرجان تحقيقها ؟

مطلبان في نظري : الاول هو القاء مزيد من الاضواء على ابي تمام شاعراً وانساناً . والاخر تحقيق نوع من العلاقة بين ابي تمام وبيننا نحن الذين نعيش في هذا العصر ومعرفة ماذا يمكن ان نستفيد من ابي تمام .

ولا شك ان تحقيق هذين المطلبين يحتاج الى شرط اساسي هو حسن الاعداد للمهرجان بما يضمن دعوة النخبة المتخصصة في ابي تمام وتوزيع موضوعات البحث عليهم كل بما هو مؤهل له وان يبدأ ذلك من وقت يسمح بانجاز هذه البحوث والدراسات .

ولا شك ان من الذين حضروا المهرجان عدداً من كبار المتخصصين في ابي تمام وفي الشعراء العباسيين عامة وعلى رأسهم الدكتور نجيب البهيتي ، والدكتور عبده عزام وبعض الاساتذة والدارسين من جامعة الموصل وبغداد ودمشق .

لكن من المؤسف حقاً الا يكلف هؤلاء الدارسون بعمل محدد مما بدأ معه ان دعوتهم كانت للاحتفاء بهم وتكريمهم على اعمالهم السابقة اكثر مما كانت للانتفاع بهم فسي انشاء اعمال جديدة عن ابي تمام .

ولا شك ان بعض البحوث الهامة قد اقيمت وخاصة البحث الذي قدمه الدكتور اليافي الاستاذ بجامعة دمشق عن الجدلية من شعر ابي تمام ، كما اقيمت بحوث وكلمات اخرى حول فنون البديع والموضوعات الرئيسية في شعره لكن هذه كانت مقالات ابتدائية وسريعاً ينقصها العمق والاحاطة او ينقصها المنهج .

النجف وكربلاء متتبعين كيف تشكلت ثمرة الصنوبر في صور عديدة ما بين آثار الاشوريين والبابليين حتى استقرت في تلك الشبائيك الفضية التي تحيط بأضرحة الشهداء العلويين .

لقد كان ابو تمام يتحول في هذه الرحلة من ديوان يحقق ويدرس ويقرأ ويحفظ الى وحدة نشاط تكررهما بصيغ مختلفة . فيما ابدعه الشعب العربي من حضارات وآثار . كان ينتقل من رفوف المكتبة الى صميم شعورنا بوجودنا في التاريخ .

ثم كان ابو تمام سبباً الى ما قام بيننا وبين الفنانين العراقيين غير المشتغلين بالكلمة من مصورين ونحاتين ومعماريين وموسيقيين ، بل لقد كان اكثر من ذلك سبباً الى ما علمنا من صور التقدم في ميادين العمل الاجتماعي المختلفة في العراق ، فامتدت الصورة بذلك عمقا كما امتدت طولاً وعرضاً .

وانا لا أزعم ان كل ما رأينا ، خال من العيوب أو الاخطاء ، بل استطيع ان اقول ان هناك اخطاء اساسية فيما رأينا وعلمنا لعل أخطرها تلك الاتجاهات التي تبالغ في تصور الدلالات السياسية المباشرة للأعمال الثقافية والفنية والآثار العملية المترتبة على نشرها وتداولها . ومن واجبي هنا ان اقول ان منع كتب الشاعر ادونيس من دخول العراق ليس له ما يبرره في نظري بالرغم من اختلافي الشديد مع ادونيس حول عدة مسائل ولقد وجدت هذا الموقف بعيداً عن سياسة وزارة الاعلام العراقية في الترحيب بكافة التيارات الادبية والفنية الجادة وتمكينها من التعبير عن نفسها ، وهذا ما يشجعني على ان اناشد صديقي الاستاذ الشاعر شفيق الكمالي وزير الاعلام الذي اعرف عنه سعة افقه اعادة دراسة موقف الوزارة من كتب ادونيس . هذا مع علمي بان بعض الاتجاهات المعادية للتقدم العربي تريد ان تجعل من مثل هذه المسألة طريقاً الى هدم جهود وزارة الاعلام العراقية في تنشيط حركة الثقافة العربية ليس ايماناً بحرية الرأي ولكن محاولة للهدم والاساءة ، فمن واجبنا الا نترك في يدها هذا السلاح .

واخيراً فقد كان المهرجان مظاهرة قوية ضرورية في هذه الايام التي يكاد فيها الشعب العربي يصاب باليأس من اتفاق القادة العرب ، والتي نشطت فيها التيارات الانفصالية والاقليمية نشاطاً كبيراً في محاولة سخيفة للقضاء التام على أمل الطليعة العربية في الوحدة وقطع الطريق على العمل الوجدوي . واستطيع ان اقول بصراحة تامة ان هذه التيارات موجودة في كافة الاقطار العربية دون استثناء بما فيها الاقطار التي ترفع فيها النظم السياسية القائمة شعارات الوحدة ، وقد وجدت هذه التيارات الانفصالية ان هزيمة يونيو (حزيران) مناسبة صالحة لتقوية مراكزها مدعية في كل قطر انه لا يمكن

عاجل

نركض خلف الكلمة
نزرعها ، نكطفها غيمه
نهدبها قربانا للنسمه ..
لكن الايام تمر .. تمر ..
والسكين .. الشفرة صارت فوق العنق ..
والساعة مازالت في القلب .. تدق .. تدق ..
تطرق بابي ..
تشحذ شريان الاعصاب ..
وهناك على مرمى خطوات
ما زالت في الاقبية المزروعة آهات ..
أعين شبان نسيت حتى الامس
نسيت شبح حزيان الفاعق
نامت في احضان الامر الواقع ..
اصحنا من وخز السكين ..
نستنشق تخدير العار ..
ندمن احلام النسيان
ونحسّ الايام ، كما كانت : ليل .. ونهار ..
وتراب وطننا .. منهوب .. مذبوح حتى الشريان !

فارس قويدر

هذي الليلة ، ليست مثل الليلات ..
قالوا : لا بدّ وان نختزل الحفلات
في اروع اروع ما تعرفه للحظات ..
والعام الراحل يتوارى ..
في بحر الذكرى
يتبعه سيل من آهات .. حرّى بالهمسات ..
الليلة عيد .. للانسان ..
والاضواء تشع كعين الطفل الفرحان
لكن الاطفال نيام هذي الليلة ..
ليس العيد لهم هذي الليلة ..
وتدق الساعة لحظات الايدان ..
بوداع الاحزان ...
لكن الحزن يحاصرني ..
يعتصر النفس .. ويسحقني ..
لم تعد الساعة وهي تدق ..
تنسج في القلب ، وفي العينين ..
ما كانت تنسجه الساعة قبل سنين ..
يا ايام الحب الصافي كالزئبق ..
كنا نصنع شعرا
نلهث شعرا ..

ويبقى بعد ذلك ما القى في المهرجان من شعر كان
معظمه ضعيفا ، وكان القليل جيدا ، وربما كان السبب
هو وقوع مهرجان ابي تمام في الموصل ومهرجان دمشق
في ذات الوقت مما وزع الشعراء هنا وهناك فضعف
المستوى .

ولقد كنت اتوقع مثلا اصدار طبعة شعبية من ديوان
أبي تمام وطرحها في الاسواق العربية .
وكنت اتوقع معرضا للنسخ المزطوة والطبعات
الصادرة من ديوان ابي تمام ومما كتب عنه ، على ان يكون
هذا المعرض نواة لمكتبة خاصة بأبي تمام يذهب اليها القراء
والدارسون .

وكنت اتوقع كذلك تقييما علميا للدراسات الاخيرة
التي ظهرت عن ابي تمام وللمهرجان الذي اقيم باسمه في
دمشق عام ١٩٦٠
ولكن هذا لم يحدث ، والعمل الوحيد المثمر في هذا
المجال هو اصدار ثبت بما كتب عن ابي تمام الطائفي
وتوزيعه خلال ايام المهرجان .

والنتيجة ان المهرجان قصر الى حد كبير عن تحقيق
اهدافه العلمية . لكننا اذ نضع ايدينا على هذا التقصير
نتمنى ان نتلاقاه في المؤتمرات والمهرجانات العلمية
والادبية القادمة حتى يتم لها النجاح الكامل المنشود .

احمد عبد المعطي حجازي

القاهرة

وقد القى الدكتور البهيتي كلمة في افتتاح المهرجان دعى
الى القائما في وقتها دون اتفاق سابق ، فدلّت على علمه
الواسع بالموضوع وتضمنت عدة افكار لامعة ، لكنها لم
تكن دراسة يمكن الاستفادة منها في غير افتتاح المهرجان .
ولقد كنت آمل ان يكون أهم بحث في المهرجان هو
الحدود الحقيقية لتجديد ابي تمام في الشعر العربي .
وهو الشاعر الذي اعتقد أنه اول من ادرك الفروق
الاساسية بين لغة الشعر ولغة النثر . أقصد أنه الوحيد
الذي كان يعي هذه الفروق وعيا نظريا جعله مذهبا أصاب
في تحقيقه وأخطأ ، لكن لم يتخل عنه ابدا بل أصر عليه
ودافع عنه سابقا في ذلك شعراء عصره ونقاد .
ان أهم ما قدمه أبو تمام للشعر العربي في نظري هو
أنه عكس ما كان يفعل السابقون ، فقد كانوا يعبرون عن
الصورة الشعرية بلغة فيها كثير من منطق النثر وادواته .
فجاء هو ليستخدم المنطق في عرض الفكرة ويجرد اللغة
منه كما يبدو في استعاراته وتشبيهاته المشهورة التي
اسقط عنها كل ادوات التشبيه فوجه بذلك ضربة اساسية
للجماليات الكلاسيكية مما جعل النقاد في عصره يتهمونهم
بالاصالة وكسر العمود .
ولقد كان هذا الموضوع بداية صالحة لكي يناقش
المهرجان بعد ذلك قضية التجديد في الشعر العربي المعاصر
من احدى زواياها .
لكن هذا لم يتم للأسف .